

هل تتجه الهند نحو إبادة جماعية للمسلمين مثل ميانمار



ترجمة وتحرير نون بوست

يحب القادة الهنود التحدث عن المهاتما غاندي عندما يسافرون إلى الخارج. فذلك يعزف على النظرة السائدة عن الهند كأرض سلام ومحبة، ويعزز مكانتها الأخلاقية كديمقراطية مسؤولة على المسرح العالمي. لذلك، برز غاندي وأفكاره كثيرا عندما خرج رئيس الوزراء ناريندرا مودي من الهند مؤخرا للمرة الأولى منذ حوالي عام ونصف.

خلال لقائه مع مودي في البيت الأبيض في 24 أيلول / سبتمبر، قال الرئيس جو بايدن إن "رسالة غاندي بخصوص اللاعنف والاحترام والتسامح مهمة اليوم ربما أكثر من أي وقت مضى". وفي خطابه الخاص أمام الأمم المتحدة، قال مودي إن "العالم يواجه خطر التفكير الرجعي والتطرف"، وشدد على مؤهلات بلاده الديمقراطية. ولتعزيز وجهة نظره، صاغ لقبًا جديدًا للهند: "أم جميع الديمقراطيات".

لا أحد يعرف ما الذي يعنيه ذلك اللقب، وبالتأكيد ليس الأم الهندية التي تحاول استيعاب موت ابنها البالغ من العمر 12 عاما. قتل برصاصة شرطة طائشة في ولاية آسام الشمالية الشرقية في نفس الوقت الذي كان فيه مودي يلقي مواعظه في أمريكا.

"لقد قتلوا ابني"، تكرر حسينة بانو المذهولة بين البكاء عندما زارها صحفيون في قرية نائية على ضفاف نهر براهماپوترا. أصيب الصبي، شيخ فريد، عندما فتحت الشرطة النار على قرويين بنغاليين مسلمين احتجاجا على الإخلاء القسري من أراضيهم التي تريد الحكومة الآن منحها للهندوس الأساميين، الذين تسميهم "مجتمع السكان الأصليين". ومن المفارقات، أنه قبل لحظات من وفاة فريد، كان قد حصل من مكتب البريد على بطاقة هوية بيومترية وطنية تثبت أصله.

إن موت طفل بهذه الطريقة يجب أن يكون مادة عار وطني. لكن حملة الإخلاء نفسها أدت إلى مزيد من الرعب عندما هاجم أحد جيران فريد الشرطة بعضا، في غضب أعمى بعد أن قاموا بهدم منزله مع 5000 شخص آخر. رجال الشرطة المدججون بالسلاح، الذين فاقوا بكثير معين الحق كان بإمكانهم إخضاعه

بسهولة، لكنهم بدلا من ذلك أطلقوا النار عليه من مسافة قريبة.



تم تصويره بالكامل في شريط فيديو تم تداوله على نطاق واسع. تُظهر الصور رجال الشرطة ينهالون عليه بالهراوات حتى وهو منهار، ويتناوبون مع بيجوي بانيا، المصور الهندوسي الذي يرافق فريق الشرطة. وبينما كان معين الحق يموت، يقفز بانيا بشراسة ويدوس على جسده الساكن.

بانيا ليس سوى أحدث وجه للتطرف الهندوسي الذي تقوده الدولة في الهند. في بلد حيث 84% من السكان من الهندوس، و 14% فقط من المسلمين، حقق حزب بهاراتيا جاناتا (BJP) الذي يتزعمه مودي إنجازا مذهلا يتمثل في خلق إحساس عميق بأن الهندوس ضحية، وإذكاء المشاعر بأن المسلمين هم الآخر عن طريق التضليل وخطاب الكراهية، فتح الجراح الدينية القديمة، والتلاعب بوسائل الإعلام الخانعة، وإسكات الأصوات التقدمية، وتمكين مجموعات البلطجة الأهلية الهندوسية. وأصبح شعار ”الهندوس في خطر“ الذي دأب اليمين على ترديده يلقي صدى عميقا اليوم.

ونتيجة لذلك، تم إقناع العديد من الهندوس الآن بالاعتقاد بأن أكبر مشكلة تواجه الهند هي مسلموها. قبل تولي مودي زمام الأمور في عام 2014، اعتقد معظم المواطنين أن همومهم الرئيسية هي الفقر، والنمو الاقتصادي غير الكافي، والفساد. صعد إلى السلطة بوعود إصلاح كل ذلك. ولكن مع استمرار تدهور الاقتصاد، وارتفاع معدلات البطالة والفقر في ظل حكمه، اعتمد حزب بهاراتيا جاناتا بشكل متزايد على سياسات التفوق لصرف الانتباه والتهرب من المسؤولية. للاستمرار في الفوز بالانتخابات، يجب أن تستمر في استقطاب الناخبين الهندوس ضد المسلمين، وبث مزاعم شائنة أكثر من أي وقت مضى لتشويه صورة المسلمين.

فمثلا يتهمون المسلمين بأنهم يرغبون في الزواج من النساء الهندوسيات، لينجبوا بسرعة بهدف تجاوز السكان الهندوس وإقامة دولة إسلامية، ويفرضوا قوانين جديدة ضد ”جهاد الحب“. شجعت قوانين

مماثلة ضد تغيير الدين وذبح الأبقار، وهي مقدسة لدى الهندوس. ويتعرض الباعة المتجولون والعمال المسلمون لهجوم متزايد من الجماعات الهندوسية المتطرفة التي تدعو إلى مقاطعة المتاجر الإسلامية. مما زاد من استياء العرقية الآسامية، استمرار الهجرات في العقود الأخيرة نتيجة التقسيم العنيف لشبه القارة، والصعوبات الاقتصادية، وعدم الاستقرار السياسي، والحروب في ما يعرف الآن باسم بنغلادش. تمتلئ وسائل التواصل الاجتماعي الهندية اليوم بمقاطع فيديو لمن نصبوا أنفسهم حماة للهندوسية يطالبون بإعدام المسلمين دون محاكمة - وهو عمل شائع لدرجة أنه لم يعد يعتبر أخبارا بعد الآن. نادرا ما يتم حجز أتباع التفوق الهندوسي البارزين بسبب خطاب الكراهية. ويتعرض المسلمون بشكل روتيني لهجمات عشوائية لارتكابهم "جرائم" مثل نقل الماشية أو التواجد برفقة نساء هندوسيات. في بعض الأحيان، يكون الاستفزاز ببساطة أن شخصا ما هو مسلم في مظهره. وكما قال مودي نفسه في التجمعات الانتخابية، فإنه يمكن التعرف على الأشخاص "الذين يخلقون العنف.. من خلال ملابسهم". لكن حقد بانيا له تاريخ أطول من انحدار الهند إلى هاوية الكراهية. آسام، مكان رقص الموت الغربية على جسد مسلم، هو المكان الذي تم فيه شحذ وتعميم هذه الصورة للمسلم باعتباره دخيلا خطيرا غير مرغوب فيه. هذا الخوف من أن يجتاحه "الغرباء" تم ترميزه وراثيا تقريبا على مدى قرون، ويعود تاريخه إلى الوقت الذي بدأ فيه البريطانيون بإزالة غابات الولاية المورقة من أجل الشاي ومزارع أخرى. حيث أدت إزالة الغابات تلك إلى الهجرة للفلاحين البنغاليين من المناطق المجاورة المكتظة بالسكان بحثا عن الأراضي الخصبة التي يمكن الحصول عليها بسهولة.

ومما زاد من استياء العرقية الآسامية، استمرار الهجرات في العقود الأخيرة نتيجة التقسيم العنيف لشبه القارة، والصعوبات الاقتصادية، وعدم الاستقرار السياسي، والحروب في ما يعرف الآن باسم بنغلادش. وأدت العوامل المتعلقة بالمناخ إلى نزوح جماعي مستمر من بنغلادش الدلتا المعرضة للفيضانات إلى ولاية آسام.

مع صعود مودي، اختلط الاستياء التاريخي للآساميين تجاه المتحدثين غير الآساميين مع سياسات القومية الهندوسية في خليط خطير من كراهية الأجانب والوطنية. إن الدوس على جثة مسلم يحمل الآن بريقا من الوطنية، ولهذا السبب يتم التباهي به أمام الكاميرا. وأصبح التعصب الأعمى الآن وسام شرف. في رأسه، كان بانيا يحمي الهند وشوهد رجال شرطة وهم يحتضنونه في الفيديو بعد وفاة معين الحق. ويوضح سلوكه الكثير عن الطريقة التي استخدم بها مودي التاريخ كسلاح وجعل للكراهية قيمة وحفزها.



آسام هي مختبر مودي الكبير، حيث إنه يضع المسلمين في اختبار التحقق من المواطنة - فصل المولود الحقيقي عن القشر - قبل أن يطبقها على المستوى الوطني.

يقول حزب بهاراتيا جاناتا إنه يريد ببساطة أن تتخلص الهند من "المهاجرين البنغلاديشيين"، لكنها تستخدمه كرمز للمسلمين الهنود. وحرّم ما يقرب من مليوني شخص من حق التصويت في الولاية، مع عدم وضوح ما سيحدث لهم. كان أقرب تشابه إقليمي لحالات انعدام الجنسية واسعة النطاق التي فرضتها الحكومة في الآونة الأخيرة هو الحرمان الجماعي للروهينغا في عام 1982 من حق التصويت في ميانمار، قبل المذابح والنزوح الجماعي بعد ذلك بسنوات.

وهي البداية فقط في ولاية بيهار المجاورة، حيث تطلب الحكومة من الناس الإبلاغ عن "المهاجرين غير الشرعيين المشتبه بهم" وقد صدرت أوامر للمسؤولين بخلق وعي بالقضية "بشكل عاجل". وطالبت المحكمة العليا في الولاية بإنشاء مركز احتجاز لإيواء المهاجرين، مذكرة الحكومة بأن "ترحيل المهاجرين غير الشرعيين له أهمية قصوى ويخدم المصلحة الوطنية". ويعيش 17 مليون مسلم في بيهار حالة قلق بشأن مستقبلهم.

في ولاية البنغال المجاورة، التي تقع على الحدود مع بنغلادش ويقطنها ما يقرب من 25 مليون مسلم، كان حزب بهاراتيا جاناتا يعد بحملة للتحقق من الجنسية على غرار ولاية آسام إذا وصل إلى السلطة في الولاية.

ألقي رئيس الوزراء في ولاية أوتار براديش، أكبر ولاية في الهند وأكثرها أهمية من الناحية السياسية، باللوم مؤخرا على المسلمين في الاستحواذ على المواد الغذائية التي تدعمها الحكومة. لقد أدخلت ولاية أوتار براديش، إلى جانب ولاية آسام، سياسة الطفلين التي تلقي باللوم على المسلمين في النمو السكاني المفترض الذي يقول المسؤولون إنه يفسر تخلف هذه الولايات. الادعاء غير متجذر في الواقع، فمعدلات

الخصوبة بين المسلمين تتراجع بسرعة.

لكن الواقع لم يعد مهما. إنه يخضع لمتطلبات رواية الحزب الحاكم للإنسانية ضد المسلمين. بما أن اليهود في ألمانيا النازية كان يطلق عليهم "الجرذان" وكان التوتسي في رواندا في التسعينيات يطلق عليهم "الصراصير"، لذلك فإن أعضاء حزب بهاراتيا جاناتا الآن يشيرون إلى المسلمين الهنود على أنهم "نمل أبيض" يأكل موارد الهند، ويحرم الهندوس من حقهم في أرضهم.



وهكذا، فإن أسس الجمهورية العلمانية التي مات غاندي وهو يدافع عنها، يتم إفراغها من محتواها بشكل محموم أكثر من أي وقت مضى. بينما يمتدح مودي غاندي شعائريا، يمجّد قادة حزب بهاراتيا جاناتا علانية قاتل غاندي، الذي كان متعصبا هندوسيا. ويدعو الوزراء والمشرعون التابعون لمودي الناس بحرية إلى إطلاق النار على "الخونة" وبدء المذابح، ويتم الترويج لهم بدلا من معاقبتهم على أفعالهم.

مودي نفسه مدين جزئيا في معجبيه وصعوده إلى عدم ندمه على المذابح التي وقعت في عام 2002 في غوجارات، عندما كان رئيسا لوزراء تلك الولاية حيث قتل مئات المسلمين وشرّد الآلاف.

بشكل ملحوظ، لم يقتصر الأمر على عدم اعتذار رئيس الوزراء الحالي في ولاية آسام عن تجاوزات الشرطة فحسب، بل إنه قتل في الواقع من وفاة معين الحق وفريد، واصفاً وفاة معين الحق بـ"30 ثانية فقط" من مقطع فيديو مدته ثلاث دقائق. كما أنه واصل حملة الإخلاء حتى إنه قام بالتفاخر بنشر صور أنقاض المساجد الأربعة التي دمرت فيها.

بينما لا يزال أمثال بایدن في هذا العالم يتحدثون عن غاندي، تغيرت قدوات الهند النموذجية. وكذلك معايير الخطاب المقبول في الحياة العامة والاجتماعية. الإبادة الجماعية مطلوبة الآن علانية في التجمعات العامة. يمكن أن تظهر "الحاجة" إلى التطهير العرقي في المحادثات غير الرسمية حول السياسة بين الأصدقاء أو العائلة. وتستخدم التهديدات بالقتل مثل علامات الترقيم في المناقشات على وسائل

التواصل الاجتماعي.

في 2 تشرين الأول / أكتوبر، تم الاحتفال بعيد ميلاد غاندي وسط ضجة كبيرة باعتباره اليوم الدولي للأعنف. وصدر كتابان جديدان عن اغتياله عام 1948. وفي الوقت نفسه، في ولاية كارناتاكا، تم العثور على رجل مسلم يبلغ من العمر 25 عاما مقطوع الرأس بسبب علاقته بفتاة هندوسية، ويُزعم أن قتله تم على يد جماعة هندوسية أهلية محلية.

لا يزال غاندي يُقتل بمليون طريقة في الهند اليوم. وما فعله بيجوي بانيا هو أن أضاف لمسة زخرفة إلى ذلك.

المصدر: مجلة تايم الأمريكية

رابط المقال: <https://www.noonpost.com/42002/>